

ديوان

الرفيق

من شعر

صلاح الدين القوصي

(الجزء الخامس)

الطبعة الأولى

غرة المحرم ١٤٢٣هـ - مارس ٢٠٠١م

وقف لله تعالى لا يباع

الفجر

﴿ النجم ﴾

ببسم الله أبدأ قول شعري
وحمد الله في سرى وجهري
تعالى شأنه فردا عظيما
وسر الله في الأكوان يسرى
عسى ربي لنا يرضى قبولا
إذا قام الجميع ليوم نشر
وقبل الموت بل من بعد موت
يكرمنا بغفران وستر
وبالصلوات من طيب وزهر
على المختار هادي كل عصر

بجاه "المصطفى" أرجوك عفوا
ورضوانا لنا من بعد غفر
وتوفيقا .. فلا يارب يوما
أجاوز حد مسكنتي وفقري
أنا العبد الفقير .. وما عليها
وحق الله .. من يعلوه قدرى
فكلى مذنب .. والله أرجو
له عفوا به يشد ظهري

بأرض هواكم جهزت قبرى
بدمع الروح فى الوجدان يجرى
وأمسك يا عزولى قبل أنى
سأنشب فيك أسنانى وظفري

(١٩٢)

أراها صورة في كل حي
بطرف العين ألمحها.. فتجري!!
فأبكي بعدها.. فترق حتى
تضم القلب في حزن وصدور
فأرضع حبها بالروح رشفاً
فيزداد الجوى منى وسكري
كأن رضاعها شهد وسكر
يفوق السكر من نشوان خمر
وتفطمني بلا شبع فأبكي
وأسألها بدمعي.. فيم هجري!!
فتحنو في دلال وابتسام
وتلثم جبهتي من بعد ثغري

تقول: روید کم .. فالعشق موت

تحلی كالرجال بحلو صبر

وما شبعت رجال من هوانا

وما أخذوا سوى من بعض قطری

فقلت : فداكم روحی ونفسی

فبعدي عنكم قتلی وكفري

تبسم ثغرها درا وقالت:

عجيب أمر عشاقی وأمری!!

فكل النفس والأرواح ملكی

وقلبك ملكنا أم لست تدري!!

فكيف تبعنا نفسا وروحا

هما ملكی.. ولا ملك لغيری!!

أريكم .. وأغدوكم بفضلي
ورفعة شأنكم من بعض سرى
ولى فيكم خيار باختيارى
وكل من احتسبت ففیه خیرى
لنا فيكم محب بات يشكو
ومحبوبى عليه الخير يجرى

فقلت : فمن أنا فيهم فداكم
جميع الكون من خلق وغير؟؟
فقلت : ذاك سرى .. لا تسلى
فسلطانى علا بجلال قدر
ولكن كن لنا عبدا رضيا
وحقق بالعبودة عز قدرى

(١٩٥)

فما قربتكم منى مكانا !!
ولا أنا بالبعاد أدرت ظهري
أنا فيكم بنى .. فمن يرانى
فنور فؤاده فى قلب صدر
فلا تخش البعاد .. فأين تغدو
وما فى الكون إلا بعض ذرى !!
أ تدرى إن هوى نجم تراه
فأين سقوطه إلا بحجرى !!

فقلت : تبارك الرحمن .. حق
كلامك كله .. والقلب يدري
ولكن ساعة يدنو فؤادى
ويملاً نوركم روحى وصدرى

(١٩٦)

أنا جيكم فأسمع في جلال
حديثا كله من طيب عطر
وأشعر أننى والكون فرد
توحد كله في نظم شعري
وأرشف منكم حبا وودا
وأشعر أننى جاوزت قدرى
أسبح والخلائق في جلال
يفوق العقل مهما قال نثرى
فنسجد كلنا حبا وطوعا
ولست أحس أن هناك غيرى!!
وكل خلائق الرحمن عندى
وحتى النجم..من أمواج بحرى

فلمست أرى سوى الرحمن فردا
توحد بالجلال وعز قدر
أقول: أنا .. يقال: أنا .. فأمسك
فهذا بعض ألغازى وسرى
وإن القول لو صرحت يردى
وجهل الخلق يرمىكم بكفر
وإنك صادق .. لكن تأدب
ففوق الكل إن دقت .. جبرى

أفبق من الحوار فإذ بعد
ذليل الحال .. بالتهزىء يبرى
بلا حول ولا طول ضعيف
بعيد .. طينه ملقى بئر

جهول ظالم .. يغشاه حزن
وحيد بائس في جهل فكر
قتيل منكر .. لا روح فيه
كميت ثاويا في قاع بئر
أنادی: أنت .. قيل: أنا .. وانی
علوت وعز بالسلطان قهري
عبيدي كلکم .. والأمر مني
ومن في مثل تديري وقهري!!
أنا الرحمن .. جل جلال وجهي
تباركت الصفات .. وجل قدری
فإن أعطى .. فكل الفضل مني
وكل عطائنا كنزى وذخرى

أقربكم على قدر لتسمو
بنا أرواحكم والنور يسرى
وأبعدكم برحمتنا وأحنو
بلطف فيه تحناني وبشري
وحتى إن هوى نجم .. تراه
ببرزخ صورنا في بعض حجر
وفي الحالين كل الأمر مني
إذا ما كنت بالأسرار تدري
أتبغى رفقتي دوما !! محال
فإني مطلق .. جبري وقهري
وكل الخلق مهما أن تساموا
بجوف الصور محصور بقدر

وكل فعالكم مهما تعالت
فأين فعالكم من عز قدرى!!

ولكن من تأدب فاز منى
بنورالقلب فى الأرواح يسرى
أنا القهار .. فاحفظ لى فؤادا
وحاذر فى المحبة حب غيرى
أغار عليك يا عبدى إذا ما
رأيت بعين قلبك أى غير
وهل فى الكون غيرى يا حصيفا
وخلقى كلهم من بعض أمرى!!
جمالى فيهم كالماء يسرى
وكل جمالهم من بعض خمرى

(٢٠١)

أترك جوهرًا وتميل قلبًا
إلى زيف به من بعض سرى!!
فما وليت وجهك شطر خلق
ترانى فيهم بعد التحرى
لهم شطران.. شطر فيه طين
وأغرس فيه من آثار كبرى!!
وشر عندنا يسمو لدينا
وكل جمالهم من بعض شطرى
فوجه لى فؤادك كى ترانى
وتحفظ قلبكم من كل شر

فقلت: إذا فى الحالين ضاعت
معالمنا.. فأين أنا بفكرى!!

(٢٠٢)

بعيد .. أم قريب .. أم حبيب!!
ترانى أم غريب ضاع عمرى!!
عرفت .. أم انتكست أم انتهى بي
جنونى بالغرام فشاب شعرى!!
بحقك أرضعيني منك حتى
يسوى باطنى وأشد ظهري
ومالى والرجال إذا كفتهم
رضيعات فناموا بعد سكر!!
فجودوا بالرضاع على دوام
وضميني إليك بفضل ستر
فروحي عندكم .. والقلب فيكم
وجسمى صار بالتجزئ شطرى

(٢٠٣)

فقلت : عاشق .. فاسمع إذا ما
أقول..وذاك من ريحان سرى
عليك " بأحمد طه " حبيبي
فإن " محمدا " ريحان زهرى
مثال جماله نورى وهدى
وفيه السر من بطن لظهر
فطوبى للذى يلقى قبولا
لديه فيرتوى من أصل طهرى
وصن سرا تراه لديه إنى
جعلت " محمدا " شمسى وبدرى
فقلت : وكيف ألقاه؟؟ فقلت :
كفيف أنت أم فى جهل غر !!

فَنور " محمد " فى الكون طرا
ومنه النور للأرواح يسرى
إذا ما كنت فى السجاد حقا
تراه فىك بالخيرات يغرى
ونفسك إن صفت ستراه حقا
كفيل المؤمنین لكل أمر
وسوف ترى من الملكوت خيطا
به الأرواح والأقلام تجرى
وقد تعلقو.. فتعرف كيف "عرشى"
و"كرسى" وتشهد بعض قدرى
" وبيت العزة " الدنيا تراه
وكيف "بيتنا المعمور" يقرى

وقرآنى .. وفرقانى تراهم
ونهر "الكوثر" المغداق يجرى

وكل ملائكى .. والروح .. صفا
تطير بهمة كجميل طير

وبعضهم يطير كـ فرخ طير
وبعضهم علا كخطير صقر

وحتى "العروة الوثقى" تراها
فتذهل روحكم من قطر خمر

فلذ "بالمصطفى" والزم رحابا
وقدم بالصلاة عليه شكرى

"رسول الله" .. لم أزدد يقينا
بقدرك حينما قلبت أمرى

(٢٠٦)

وحقك سيدى .. والله حسبى
أحبك فوق ما الأكوان تدرى
ويوم "ألست" قلت: بلى وإنى
بحب "محمد" أغرقت صدرى
ولما قيل لى : وحد .. صرخت
وقلت محذرا من شبه كفر:-
تعالى الله فردا قد تناهى
بعزته علا عن كل فكر
وهذا " أحمد المختار طه"
"لواء الحمد" يحمله بفخر
ألوذ به .. مقدم كل خير
وليس سواه بالرحمن يدرى

و"نجم طارق" جاب العوالى
كضوء الشمس فوق مياه نهر
فلا شمسا ترى فى الماء .. لكن
ترى ضوءا وكل الماء يجرى
فتاقب نوره فى الكون سر
وسر السر بالأنوار يسرى

وكان الناس "حينئذ" كسوق
وبعضهم اشترى .. والبعض يشرى
فمنهم من شرى دنيا بدين
وبعض راح مبتهجا بأجر
وأهدى بعضهم بالحب نفسا
لرب الكون فى عز وفخر

(٢٠٨)

وقد شاهدت فى الأبرار قوما
كغرقى اللج فى أمواج بحر
وقيل : مقربون .. بهم ذهول
ولا يدرون عن كون وغير!!
بحب الإههم .. وبحب " طه "
فنوا منذ النداء من قبل فجر
سعوا سبعا .. وطافوا حول عرش
وقد سبقوا بإحرام ونحر
فقلت : وحقكم فازوا بحق
وقد عرفوا الحقيقة كيف تسرى
فلا دنيا ولا أخرى أرادوا
ولكن عشقهم للحق يفرى

ومن يعرف رسول الله حقا
يرى أنواره في الكون تجرى

نظرت فلم أجد إلاك روحا
تسامى في الوجود بكل بر

تمد عوالم الرحمن نورا
ونورك سيدى فى كل مصر

وقيل: شرح صدرك.. ثم إنى
سأرفع ذكركم فى كل ذكر

حبيبي أنت يا " طه " .. وإنى
جعلتك نورنا فى الكون يسرى

وكل محبكم يزداد شوقا
إلى مؤيدا بجميل نصرى

ومن يدخل هوأنا سوف يرضى
ويعلم كيف تحنانى وبرى
بفردوسى نزلت فكن شهيدا
على الأكوأ والأقدار تجرى

وقد شاهدت فيك النور حقا
سرى فى الروح فى أمن ويسر
فأنت الرحمة العظمى وربى
هو الوهاب عالم كل قدر
وصلى - سيدى - ربى عليكم
فصرت مصليا من غير حصر
وجئتك خاويا روحا وقلبا
فمن أنواركم حملت وقرى

(٢١١)

فكان نصيب قلبي حب ربي
خلالك سيدي نوري وذخري
صقلت بحبكم مرآة قلبي
وإذ بالليل في أضواء ظهر
فما كذب الفؤاد بما رآه
من الأسرار حتى فاض شعري

وقد شاهدت تحتكم حجابا
رقيقا كالزجاج نقاء طهر
ولكن لا يراه الخلق إلا
من الله اصطفاه بسر سر
وما كل النفوس بذاك تدري
ولا الأرواح إلا بعض نزر

(٢١٢)

ومن قد شاهدوك رأوه ظلا
وما يدرون أنك خلف ستر!!
ومنك إليه يسرى النور حتى
يشع النور منه كتم بدر
ومنه النور ألوانا أراها
كصفر ثم حمر ثم خضر
يدور بروحه وله مدار
ويرسل صورة في كل عصر
على "الأقطاب" .. لكن لا يراه
من "الأقطاب" غير عيون "خضر"!!
قديمًا أو حديثًا فهو يهدى
بنورك دونما حجر وحصر

به سر الولاية حيث كانت
وليس قياسه أبدا بعمر
به " ختم " تدور رحي عليه
وكل ولاية تحظى بسر
وغاية أمره " المهدي " لما
يشاء الله إظهارا بـجهر
فسبحان المدبر جل قدرا
وقدرته علت عن كل فكر
عليك صلاته أبدا دواما
ويا طوبى لمدرک رمز شعری

وقد كشف الغطا.. فرأيت رحي
وببرزخ صورنا ورأيت قبری

وراح القبر ثم رأيت نشرى
مع الأشهاد أشهد يوم حشر
ويقدم جمعهم " طه " عليه
" لواء الحمد " فى طى ونشر
وكل العالمين بهم خشوع
وخوف الله فى الأكوان يسرى
وأما " الرحمة المهداة " صلى
عليه الله .. فى أمن وبشر
يؤمن روحنا وتروح فىنا
شفاعته لتجبر كل كسر
عليه صلاتنا أبدا دواما
بلا كيف ولا عدد وحصر

فلما أن ولدت وشب فرعى
وجاعت ليلتى فى ليل قدرى
وشرفت الفقير بخير بشرى
وكلك سيدى سعدى وبشرى
تذكرت القديم .. فصاح قلبى:
رأيتك سيدى قبلا لعمري!!
وكل الحادثات مررت قبلا
بها رؤيا بعين أو بفكر
كمرآة بها صور أراها
تدور بفعل أرواح كسحر
بلا زمن .. فحاضرنا قديم
وماضينا سيأتى بعد دهر!!

وما فى الكون إلا الله حقا
وكل الخلق زيف بات يجرى
وإنى ظلكم .. والأصل أنتم
وأنتم سیدی .. كنزى ودرى

رسول الله .. "يا جدى" .. أرانى
أخلط بين أوهامى وفكرى
وما تغنى ظلال عن أمور
حقائقها إليك كنور بدر
وأنتم سیدی عونى وحصنى
وأنتم مرجعى شبرا بشبر
فعلمنى - عليك الله صلى -
بفرقان لديك حقيق أمرى

وأدبني .. وخذ بيدي إني
جهول ضاع مني كل عمري
وأنت رجاؤنا ياقلب روحى
وأنت غناى فى جهلى وفقرى
ومالى غيركم أرجوه يغنى
فأنت معلمى فى كل أمر
فجئتك سيدى مالى سواكم
أدون منكم قولى بسطر
فإن تقبل فهذا الفضل منكم
وإلا طال فقدانى وخسرى
عليك الله صلى ما توالى
على الأكوان عصر بعد عصر

زكيات مطيبة كورد
به الريحان يعلو كل زهر
تقبلها رسول الله فضلا
عساها أن تظلل أرض قبري
وحمدا سيدى أنى بحبى
على أعتابكم جهزت قبري

*



ربيع الثانى ١٤٢١هـ - يولية ٢٠٠٠ م

